حَيَاةُ النَّبِيِّ ﷺ

الهِجْرَةُ المُبَارَكَةُ

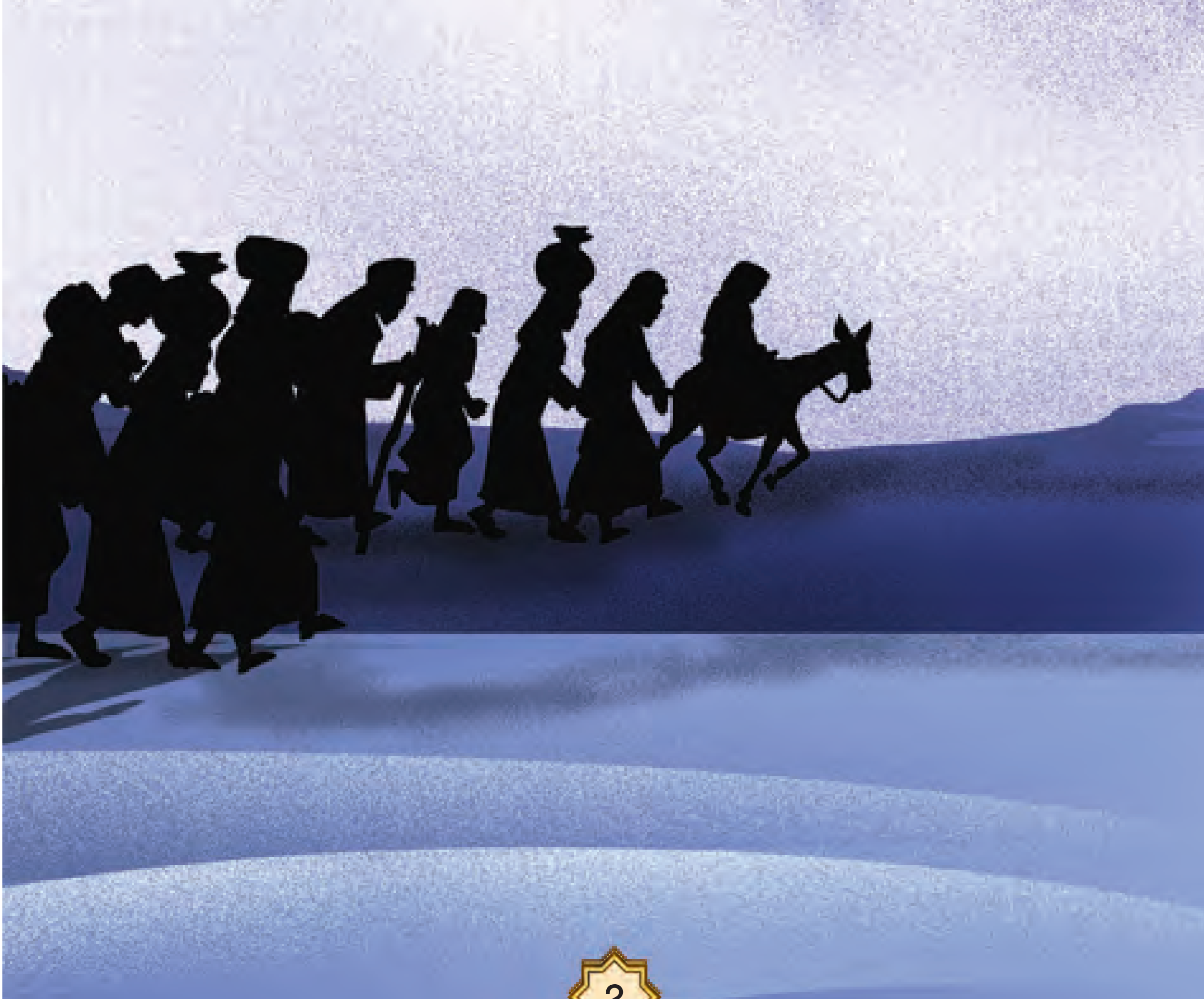
كتبها
سلامة محمد سلامة

رسوم
عبد المرضى عبيد

٢٠٠٣/رقم الإيداع ٢٠٠٦٨

الترقيم الدولي I.S.B.N.977-361-198-1

جرافيك وفصل ألوان : عاصم سيد أحمد



الإذْنُ بِالهِجْرَةِ

لَمَّـا عَلِمَتْ "قُرَيْشٌ" بِأَمْرِ بَيْعَةِ العَقَبَةِ الثَّانِيَةِ وَتَحَالُفِ الرَّسُولِ ﷺ مَـعَ أَهْلِ "يَثْرِبَ" خَافَتْ عَلَى مَكَانَتِهَـا وَتِجَارَتِهَا مِنْ هَذَا التَّحَالُفِ الخَطِيرِ الَّذِى سَوْفَ يَزِيدُ مِن قُوَّةِ المُسْلِمِينَ، فَأَخَذَتْ تُعَذِّبُ المُؤْمِنِـينَ بِكُلِّ قَسْـوَةٍ وَغِلْظَةٍ حَتَّى تَرُدَّهُـم عَنْ دِينِهِم، وتُرجِعَهُـم عَـنْ إيمَانِهِـم، فَلَمَّا وَجَدَ الرَّسُـولُ ﷺ مَا يُعَانِيـهِ أَصْحَابُـهُ مِـنَ الاضْطِهَادِ والتَّنْكِيـلِ، أَذِنَ لَهُمْ بِالهِجْـرةِ إلَـى "يَثْـرِبَ"، فَخَرَجَ المُسْلِمُـونَ مِنْ "مَكَّةَ" سِرًّا، تَارِكِينَ وَرَاءَهُم كُلَّ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ مَالٍ وَمَتَاعٍ.



أَدْرَكَ زُعَمَـاءُ "قُرَيْشٍ" أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ سَـوْفَ يَلْحَقُ بِأَصْحَابِهِ فِى "يَثْـرِبَ"، فَعَقَـدُوا اجْتِمَاعًا كَبِيرًا فِى دَارِ النَّـدْوَةِ لِيَتَشَاوَرُوا جَمِيعًا فِـى كَيْفِيَّـةِ القَضَاءِ عَلَى النَّبِىِّ ﷺ وَدَعْوَتِـهِ، واسْتَقَرَّ رَأْيُهم عَلَى أَنْ يَأْخُـذُوا مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ شَابًّا قَوِيًّا وَيُعْطُوهُ سَيْفًا صَارِمًا بَتَّارًا، ثُمَّ يَقُومُ كُلُّ هَؤُلاء بِضَرْبِ النَّبِىِّ ﷺ ضَرْبَةَ رَجُلٍ وَاحِد، فَيَقْتُلُونَهُ فَيَتَفَرَّقُ دَمُـهُ بَيْنَ القَبَائِلِ فَلا يَسْتَطِيـعُ أَهْلُهُ أَنْ يَأْخُذُوا بِثَأْرِهِ مِنَ القَبَائِلِ كُلِّهَا.



وَفِـى اليَـوْمِ الَّذِى حَـدَّدَهُ الكُفَّارُ لِتَنْفِيـذِ المُؤَامَـرَةِ أَرْسلَ اللهُ "جِبْرِيـلَ" - عَليْـهِ السَّلامُ - فَأَخْبَر النَّبِىَّ بِمَـا دَبَّرَتْهُ "قُرَيْشٌ"، وأَمَرَهُ أَلا يَبِيتَ فِى دَارِهِ فِى هَذِهِ اللَّيْلَةِ، كَمَا أَخْبَرَهُ أَنَّ اللهِ قَدْ أَذِنَ لَـهُ بِالهِجْرَةِ إِلَى "يَثرِبَ"، فَبَدَأَ النَّبِـىُّ يُعِدُّ العُدَّةَ لِلْهِجْرَةِ، فَذَهَبَ إِلَى دَارِ صَدِيقِهِ "أَبى بَكْرٍ" فِى وَقْتِ الظَّهِيرَةِ وَأَخْبَرَهُ أَنَّ اللهَ قَدْ أَذِنَ لَـهُ بِالهِجْـرَةِ، وَأَنَّهُ سَوْفَ يَصْحَبُهُ فِى رِحْلَتِـهِ المُبَارَكَةِ، فَبَكى "أَبُـو بَكْرٍ" مِنْ شِدَّةِ الفَـرَحِ، وَعَادَ النَّبِىُّ # إِلَى بَيْتِهِ يَنْتَظِرُ مَجِىءَ اللَّيْلِ.



أَمَـرَ النَّبِـىُّ ﷺ "عَلىَّ بْنَ أَبِى طَالِـبٍ" أَنْ يَبْقَى فِى "مَكَّةَ" لِيَرُدَّ الأَمَانَـاتِ الَّتِى كَانَـتْ عِنْدَهُ إلَـى أَصْحَابِهَا، كَمَا أَمَـرَهُ أَنْ يَنَامَ فِى فِرَاشِه ﷺ فِى هَذِهِ اللَّيْلَةِ.

وَقَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ النَّبِىُّ ﷺ مِنْ بَيْتِهِ أَحَاطَ الكُفَّارُ بِمَنْزِلِهِ لِيَقْتُلوهُ وَيُنَفِّـذُوا مَـا دَبَّرُوه، لَكِنَّ اللهَ عَصَمَهُ مِنْهُم فَخَرَجَ مِنْ بَابِ بَيْتِهِ وَمَرَّ بَيْنَ صُفُوفِهِم فَأَعْمَى اللهُ أَبْصَارَهُم فَلَمْ يَرَوهُ، قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَـٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾

(يس: 9)



فِى غَارِ ثَوْرٍ

ذَهَبَ النَّبِىُّ ﷺ إلى دَارِ "أَبى بَكْرٍ" وَخَرَجَا مَعًا فِى اتجَاهِ الجَنُوبِ حَتَّى وَصَلا إلى غَارٍ يُسَمَّى غَارَ "ثَوْرٍ" فَاخْتَفَيَا فِيهِ مُدَّةَ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ، وَكَانَ "عَبْدُ اللّه بنُ أَبى بَكْرٍ الصِّدِّيقِ" يَنْقُلُ إلَيْهِمَا أَخْبَارَ "قُرَيْشٍ" أَوَّلاً بِأَوَّلٍ، وَكَانَتْ أُخْتُهُ «أَسْمَاءُ» تَحْمِلُ إلَيْهِمَا الطَّعَامَ والشَّرَابَ، أَمَّا "عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ" مَوْلَى "أَبي بَكْرٍ" فَقَدْ كَانَ يَرْعَى أَغْنَامَ سَيِّدِهِ فَوْقَ آثَارِ الأَقدامِ حَتَّى لا تَتْرُكَ أَثَرًا يَهْدِى الكُفَّارَ إلَى الغَارِ.



جُـنَّ جُنُـونُ الْمُشْرِكِينَ عِنْدَمَا عَلِمُـوا أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَدْ أَفْلَتَ مِنْ بَـيْنِ أَيْدِيهِم، فَأَسْرَعُوا خَلْفَهُ يَبْحَثُونَ فِى كُلِّ مَكَانٍ، فَلَمَّا يَئِسُوا مِنَ اللِّحَاقِ بِهِ ﷺ أَعْلَنُوا عَنْ مُكَافَأَةٍ ضَخْمَةٍ قَدْرُهَا مِائَةُ نَاقَةٍ لِمَنْ يَدُلُّ عَلَيْهِ وَعَلَى صَاحِبِهِ "أَبِى بَكْرٍ الصِّدِّيقِ" - رضى الله عنه.



انْطَلَقَ المُطَارِدُونَ يُفَتِّشُونَ عَنْ رَسُولِ اللّٰه ﷺ بَينَ السُّهُولِ وَالهِضَابِ وَالجِبَالِ وَالوِدْيَانِ، وَبَعْدَ تَعَبٍ وَعَنَاءٍ وَصَلُوا إِلَى فَتْحَةِ الغَارِ، فَلَمَّا سَمِعَ "أَبُو بَكْرٍ" أَصْوَاتَهُم قَالَ فِى حُزْنٍ : "يَارَسُولَ اللّٰه، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُم نَظَرَ إِلَى مَا تَحْتَ قَدَمِهِ لَرَآنَا" فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّٰه ﷺ : "يَاأَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَينِ اللّٰهُ ثَالِثُهُمَا"، فَلَمْ يَرَهُمَا المُطَارِدُونَ، وَارْتَدُّوا عَلَى أَعْقَابِهِم إِلَى "مَكَّةَ" خَائِبِينَ خَاسِرِينَ.



الهِجْرَةُ المُبَارَكَةُ

كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَصَاحِبُه "أَبُو بَكْرٍ" قَدِ استَأْجَرَا "عَبْدَ اللّه ابْنَ أُرَيْقِطٍ"، وَكَانَ مُشْرِكًا لَكِنَّ النَّبِىَّ ﷺ اسْتَعَانَ بِهِ لِخِبْرَتِه بِطُرُقِ الصَّحْرَاءِ، فَسَلَّمَاهُ بَعِيرَيْنِ لَهُمَا، وَوَاعَدَاهُ أَنْ يَأْتِىَ إِلَيْهِمَا عِنْدَ الغَارِ بَعْدَ مُرُورِ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ، فَلَمَّا مَرَّتِ الأَيَّامُ الثلاثَةُ جَاءَ "عَبْدُ اللّه بْنُ أُرَيْقِطٍ" فِى المَوْعِدِ المُحَدَّدِ بِالرَّاحِلَتَيْنِ، وَفِى غُرَّةِ شَهْرِ رَبِيعٍ الأَوَّلِ مِنَ السَّنَةِ الأولَى لِلْهِجْرَةِ بَدَأَ رَسُولُ اللّه ﷺ ، وَصَاحِبُهُ "أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ" وَمَعَهُمَا "عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ" "وَعَبْدُ اللّه بْنُ أُرَيقِطٍ" رِحْلَتَهُمُ المَيْمُونَةَ إِلَى "يَثْرِبَ".

سَارَ "عَبْدُ اللّه بْنُ أُرَيْقِطٍ" بِالنَّبِىِّ و "أَبِى بَكْرٍ" فِى اتِّجَاهِ الجَنُوبِ نَحْوَ "اليَمَنِ" حَتَّى يُضَلِّلَ الكُفَّارَ فَلا يَعْرِفُونَ طَرِيقَهُم، ثُمَّ اتَّجَهَ بِهِم شَمَالاً عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْ شَاطِئ البَحْرِ الأَحْمَرِ،



وَسَلَكَ بِهِم طَرِيقًا لَمْ يَكُنْ يَسْلُكُهُ أَحَدٌ إلا نَادِرًا، لَكِنَّ المُطَارِدِينَ لَمْ يَهْدَأْ لَهُمْ بَالٌ طَمَعًا فِي اللَّحَاقِ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ والحُصُولِ عَلَى الجَائِزَةِ التِى رَصَدَتْهَا قُرَيْشٌ لِمَنْ يَصِلُ إِلَى النَّبِىَّ ﷺ وَيَعْرِفُ مَكَانَهُ.

وَكَانَ مِنْ هَؤُلاءِ الطَّامِعِينَ "سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ" الذى مَا إنْ عَلِم بِمَكَانِ النَّبِىِّ ﷺ حَتَّى طَارَ بِفَرَسِهِ خَلْفَهُ.

وَمَا كَادَ "سُرَاقَةُ" يَلْحَقُ بِرَكْبِ النَّبِىِّ ﷺ حَتَّى غَاصَتْ قَدَمَا فَرَسِهِ فِى الرِّمَالِ فَسَقَطَ مِنْ فَوْقِهِ، ثُمَّ قَامَ وَكَرَّرَ المُحَاوَلَةَ، فَغَاصَتْ قَدَمَا فَرَسِهِ فِى الرِّمَالِ مَرَّةً أُخْرَى فَخَافَ وَارْتَعَدَ، وَعَلِمَ أَنَّ عِنَايَةَ اللهِ تَحْفَظُ نَبِيَّهُ ﷺ ، فَأَخَذَ يُنَادِى بِأَعْلَى صَوْتِهِ لِيَطْلُبَ الأَمَانَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَمَّنَهُ النَّبِىُّ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُعَمِّيَ أَعْيُنَ المُشْرِكِينَ عَنْهُ، ثُمَّ سَارَ الرَّكْبُ بَعْدَ ذَلِكَ فِى أَمَانِ اللهِ.





أَوَّلُ مَسْجِدٍ فِى الإِسْلام

وَفِى يَوْمِ الإِثْنِينِ (8) مِنْ رَبِيعٍ الأَوَّلِ وَصَلَ النَّبِىُّ ﷺ إِلى "قِبَاءٍ" (وَهِىَ مَكَانٌ يَقَعُ عَلَى مَشَارِفِ المَدِينَةِ)، فَأَسْرَعَ المُسْلِمُونَ لِلِقَائِهِ وَهُمْ يُكَبِّرُونَ فَرَحًا بِقُدُومِهِ ﷺ، فَأَقَامَ الرَّسُولُ بَيْنَهُم أَرْبَعَةَ أَيَّام أَسَّسَ خِلالَهَا مَسْجِدَ "قِبَاءٍ" وَهُوَ أَوَّلُ مَسْجِدٍ بُنِىَ فِى الإِسْلامِ. وَأَثْنَاءَ وُجُودِ النَّبِىِّ ﷺ بِقِبَاءٍ لَحِقَ بِهِ "عَلِّي بْنُ أَبِى طَالِبٍ" بَعْدَ أَنْ رَدَّ الوَدَائِعَ وَالأَمَانَاتِ التِى كَانَتْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى أَصْحَابِهَا.



النَّبِىُّ ﷺ فِى المَدِينَةِ

وَمَضَى الرَّكْبُ المُبارَكُ فِى طَرِيقِهِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى المَدِينَةِ فِى يَوْم الجُمُعَـةِ (12) مِنْ رَبِيـعِ الأَوَّلِ فَخَرَجَ أَهْلُ المَدِينَةِ جَمِيعُهُم، وَالبِشْرُ يَعْلُـو وُجُوهَهُـم وَالفَرْحَةُ تَمْـلأُ قُلُوبَهُم، وَهُـم يَرْفَعُـونَ أَصْوَاتَهُم بِالتَّكْبِيـرِ فَتَرْتَجُّ لَهَا أَرْجَاءُ المَدِينَةِ، وَأُنْشِدَتْ فِى ذَلِكَ اليَوْمِ المُبَارَكِ أَنَاشِيدُ جَمِيلَةٌ تُرَحِّبُ بِالنَّبِىِّ ﷺ وَصَاحِبِهِ.

طَلَعَ البَدْرُ عَلَيْنَا   مِنْ ثَنِيَّاتِ الوَدَاع

وَجَبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا   مَا دَعَا لِلّهِ دَاع

أَيُّهَا المَبْعُوثُ فِينَا   جِئْتَ بِالأَمْرِ المُطَاع

جِئْتَ شَرَّفْتَ المَدِينَة   مَرْحَبًا يَا خَيْرَ دَاع



والْتَفَّ الأَنْصَارُ حَوْلَ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّه ﷺ وَكُلٌّ واحِدٍ مِنْهُم يَتَمَنَّى أَنْ يَنْـزِلَ النَّبِـىُّ ﷺ ضَيفًـا عَلَيْهِ، فَـكَانَ ﷺ لا يَمُرُّ بِـدَارٍ مِنْ دُورِ الأَنْصَـارِ إلا وَيَتَسَابَـقُ أَهْلُهَـا ، كُلٌّ يُرِيدُ أَنْ يَنْـزِلَ عَليْهِ رَسُولُ اللَّه ضَيْفًـا عَزِيزًا مُكَرَّمًا، فَيَأْخُـذُونَ بِزِمَامِ نَاقَتِهِ ﷺ وَهُـوَ يَقُولُ لَهُمْ: "دَعُوهَـا فَإنَّهَا مَأْمُورَةٌ"، فَلَمْ تَـزَلْ نَاقَتُهُ ﷺ سَائِرَةً حَتَّى بَرَكَتْ فِى أَرْضِ يَتِيمَيْنِ مِنْ بَنِى النَّجَّارِ أَخْوَالِ جَدِّ النَّبِىِّ ﷺ بِالقُرْبِ مِنْ دَارِ "أَبِى أَيُّوبَ الأَنْصَارِىِّ" رَضِىَ اللهُ عَنْهُ.



طَارَ "أَبُو أَيُوبَ الأَنْصَارِىُّ" فَرَحًا عِنْدَمَا رَأَى نَاقَةَ النَّبِىِّ ـــ أَمَامَ دَارِهِ، فَأَسْرَعَ وَأَخَذَ مَتَاعَ النَّبِىِّ ﷺ ووَضَعَهُ فِى دَارِهِ فَنَزَلَ النَّبِىُّ ﷺ ضَيْفًا عَلَيْهِ.

وَأَطْلَقَ الأَنْصَارُ مُنْذُ ذَلِكَ اليَوم عَلَى بَلَدِهِم اسْمَ مَدِينَةِ الرَّسُولِ، ابْتِهَاجًا بِهِجْرَتِهِ المَيْمُونَةِ ﷺ، ثُمَّ صَارَتْ تُعْرَفُ بَعْدَ ذَلِكَ بِاسْمِ: "المَدِينَةِ" أَوِ "المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ".

